

أسس المنهج الوصفي في ضوء الدراسات اللغوية العربية القديمة والحديثة

The foundations of the descriptive method in the light of ancient and modern Arabic linguistic studies

* مبروك بركات

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر
(ورقلة - الجزائر)

Mebrouk barkat

center for scientific and technical
research on arabic language
development
linguistic research unit and arabic
language issues in algeria (ouargla – algeria)
yasirbm2013@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/31	تاريخ القبول: 2022/12/28	تاريخ استلام المقال: 2022/12/24
-------------------------	--------------------------	---------------------------------

ملخص

يتناول هذا البحث عرض بعض مفاهيم المنهج اللساني الوصفي التي تلقاها الدراسون العرب بالعرض والتحليل والتطبيق، وسعى آخرون إلى تأصيلها في الدراسات التراثية، وستبين في هذه العجالة تلك المفاهيم، ورؤى بعض اللسانيين حيالها .

ومن أسس المنهج الوصفي التي سيقف عندها البحث : ثنائية اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة - وحدة الزمان والمكان للمادة اللغوية، عدم التمييز بين اللغات - فصل المستويات اللسانية في الدراسة - الموضوعية . لنخلص في الأخير إلى خاتمة تلخص أهم النتائج .
الكلمات المفتاحية: أسس؛ منهج؛ وصفي؛ لساني؛ عربي .

Abstract

This research deals with some concepts of the descriptive linguistic method that Arab

scholars received through presentation, analysis and application, and others sought to root them in heritage studies.

Among the foundations of the descriptive method that the research will address: the bilingualism of spoken and written language - the unity of time and space for the linguistic material, non-discrimination between languages - the separation of linguistic levels in the study - objectivity.

Finally, we come to a conclusion that summarizes the most important results.

Keywords: Foundations; methodology; descriptive; linguistic; Arabic.

1. مقدمة

إن الدراسة اللسانية تتميز بالتكامل والتجدد في مناهج تحليلها، لأن اللغات تتصف بالتغير من ناحية تأثيرها وتأثيرها، بالإضافة إلى ما يحصل في أصواتها وبنية كلماتها ونظمها من أدوات وتراكيب قد تنحرف عن نظامها العام، وقد ينشأ من خلال ذلك لهجات واستعمالات متعددة .

وقد عرف البحث اللساني مناهج لسانية سياقية تدرس اللغة في ضوء مسارها التاريخي، وما يصيبها من تطور على غرار المنهج التاريخي والمقارن، لتظهر بعد ذلك رؤى لسانية سعت إلى دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها تجسدت في المنهج الوصفي، ويهدف هذا المقال إلى عرض بعض أسسه ومفاهيمه في ضوء تلقي اللغويين العرب القدامى والمحدثين .

2 . مفهوم المنهج الوصفي

1.2. لغة

المنهج في اللغة: هو الطريق الواضح (الرازي ، ص2001 ، 558) ، ومنه منهج الدراسة . ولفظ " المنهج " ترجمة لكلمة "Méthode" في اللغة الإنجليزية ونظائرها الأوربية (ياقوت ، 2003 ، ص 81).

2.2. اصطلاحا

أما من الناحية الاصطلاحية: فتتعدد مفاهيمه، فينظر إليه بعضهم من حيث كونه سبيلا إجرائيا للباحث " بأنه الخطة التي يرسمها الباحث في ترتيب أفكاره، وتوجيه موضوعات بحثه توجيها صائبا" (،) ويبدو أن لكل علم منهجا، واللغة لها حظ أكبر في احتواء هذه المناهج الميسرة لدراستها، ولعل من المناهج التي لاققت اهتماما من الدارسين العرب المنهج الوصفي الذي كان له حضور بارز في بدايات اللسانيات الحديثة .

3.2. المنهج الوصفي

إن الحديث عن المنهج الوصفي (descriptive méthode) يستحضر اللساني السويسري (فرديناند دوسوسير 1857-1913) الذي وجد هذا المنهج إحياءه على يديه في كتابه " محاضرات في علم اللغة" الذي جمعه بعض تلامذته من محاضراته بعده، ويعد هذا الكتاب في زمانه كشفاً في المجال اللغوي، ومفتاح تحول عميق في الدراسات اللغوية تاركاً أثره في البحوث والمؤلفات التي انتهجت المنهج الوصفي4 ، ولعل البند الوصفي الرئيسي الذي دعا إليه هذا الكتاب هو دراسة اللغة في لذاتها ومن أجل ذاتها وإبعاد كل شيء يقع خارج كيانها ونظامها 5 .

عرّف رمضان عبد التواب المنهج الوصفي بأنه منهج " يقوم على وصف اللغة يقوم على وصف اللغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة، أي في نواحي أصواتها ومقاطعها وأبنياتها ودلالاتها، وتراكيبها، وألفاظها، أو في بعض النواحي، ولا يتعدى مرحلة الوصف " (عبد التواب ، 1997 ، ص 182) .

أثار دوسوسير في نظريته الوصفية عدة ثنائيات، منها :

-ثنائية اللغة والكلام : إذ فرق بينهما على أساس أن اللغة نظام اجتماعي ثابت، والكلام أداء فردي متغير .

-ثنائية اللغة واللسان : بين من خلالها أن اللغة لا يمكن دراستها دراسة علمية لأنها لا تمثل واقعة اجتماعية خالصة، بخلاف اللسان الذي يصلح للدراسة بشكل علمي كالعربية والإنجليزية .

-ثنائية الداخلي والخارجي : ويعني بذلك أن دراسة اللغة من الداخل ومعرفة أنظمتها الداخلية تختلف اختلافاً بيناً عن الدراسة التي تعنى بنشأة اللغة وتطورها، وتهدف إلى ربط العلاقة بينها وبين لغات أخرى .

-التمييز بين المنهج التزامني والمنهج التعاقبي، فالأول يعني برصد الظاهرة اللغوية في حالة سكونها، بينما يرتبط التعاقبي بدراسة اللغة في حقب متعددة تتناول تطورها (زكموط ، 2021 ، 180 – 181) .

3 . أبرز أسس المنهج الوصفي

إن للمنهج الوصفي اللساني أسسا عديدة لا يفي هذا البحث بعرضها والتفصيل في شتى مجالاتها، ولكننا سنقتصر على ذكر بعضها متوسلين بالنصوص التراثية التي فيها إشارات وصفية، والوقوف عند جوانب من التلقي اللساني العربي الحديث لها أيضا .

1.3. اللغة المنطوقة و اللغة المكتوبة

أولى أصحاب المنهج الوصفي أهمية كبيرة للغة المنطوقة إذ اعتبروها أساس الدراسة اللغوية وذلك لأنها تعبر عن الظواهر والتغيرات اللغوية بشكل أدق من تعبير اللغة المكتوبة .

إذا توجهنا إلى الدارسين العرب المعتنقين لهذا المنهج فإننا نجدهم على ضوء الدارسين الغرب يعتبرون أن النحو العربي ركز اهتمامه على اللغة العربية المكتوبة بل على أنواع منها فحسب (الراجحي ، 2008 ، 47)، والملاحظ لهذا الرأي في ضوء الرصيد التراثي يلمس تعميما في الحكم على الإنتاج العربي النحوي في كل مراحلها دون تفصيل .

والدليل على هذا أننا حينما نستقطب أول كتاب نحوي وصل إلينا وهو كتاب سيبويه فإننا نقف على إدراكه لأهمية اللغة المنطوقة في التععيد، وما هذه الصيغ التي سنوردها إلا دليلا على ما ذكرناه.

يقول سيبويه "وسمعنا العرب الفصحاء" (سيبويه ، ص 219)، " وسمعنا فصحاء العرب" (سيبويه ، ص 503)، وقوله : " وسمعت من أثق به من العرب" (سيبويه ، ص 230)، والنصوص الدالة على هذا المغزى كثيرة في الكتاب .

إن هذه النصوص المثبتة وغيرها تبين أن سيبويه كان يعتمد على المنطوق المسموع ، وبصيغة أخرى تظهر مدى إدراكه وإيمانه بأن الكلام هو مثال اللغة الحية المقدمة في البحث ، وهذه السمة في منهج سيبويه تؤكد مدى الرؤية الوصفية لديه .

ومع محاولتنا تصحيح تلك النظرة التعميمية التي وقع فيها بعض الوصفيين من العرب والمتمثلة في قولتهم إن النحو العربي اعتمد على اللغة المكتوبة دون المنطوقة فإن هذا لا يحجبنا عن الإقرار باعتماد النحاة العرب المتأخرين على المكتوب لأن تأليفهم انصب على شرح ما تركه سلفهم وتوضيحه .

للباحث إسماعيل عمارة رأي في هذه المسألة ، وفحواه عدم التسليم للوصفيين تنكرهم للنصوص المكتوبة، وإن كان يتفق معهم في مزايا النص المنطوق على المكتوب، ولكن النصوص المكتوبة كان لها مبرراتها في الدراسة النحوية العربية، كون دلالاتها ومعانيها مستقرة أكثر من النصوص المنطوقة (عمارة ، 2002 ، ص 99)، وهو ما يتوافق مع الظروف المحيطة بحفظ القرآن أساسا وحفظ الألسنة من الزيغ واللحن .

2.3. وحدة الزمان والمكان

1.2.3. وحدة الزمان

إن من أسس المنهج الوصفي كما يرى دوسوسير اقتصار الدراسة على زمن بعينه وهو ما يعرف بالدراسة التزامنية (synchronic linguistique) واستبعاد الدراسة التعاقبية (Diachronie linguistique) (نوزاد ، 2007 ، ص 49) التي يقوم عليها المنهج التاريخي، والعلة المسوقة في تبرير هذا المنهج هو أن دراسة لغة في زمن معين يعني أن يكون الوصف دقيقا، إذ تكون الخصائص على نحو من الثبوت والاستقرار، أما إذا درست في ضوء أزمان متعددة فإن الوصف حينها أدعى إلى الاختلاف والتشتت، لأن الظواهر في ظل تلك العصور المختلفة يكتنفها التغيير الذي تشهده أي لغة في عصورها المختلفة نتيجة لعوامل اجتماعية وسياسية وثقافية (حسام الدين ، 2001 ، ص 67).

وإذا كان هذا المبدأ والأساس قد رسمه دوسوسير واتبعه فيه الوصفيون الغربيون، فإن الوصفيين العرب قد اتخذوه سبيلا في نقد منهج النحاة القدامى في مسألة وحدة الزمان عندهم.

يرى بعض الدارسين أن المدة الزمنية التي امتد فيها البحث اللغوي مدة متباعدة جمعت بين أكثر من عصرٍ ومرحلةٍ تاريخية، فهي قد جمعت النصوص اللغوية على مدى العصور الجاهلية والإسلامية والأموية، وهذا يمثل مراحل تطويرية على مستويات مختلفة (حسان ، 2004 ، ص 14)، ومن هؤلاء تمام حسان في مقدمة كتابه اللغة العربية معناها ومبناها.

يذهب آخرون إلى أن اللغويين الأوائل اقتصروا على زمن واحد في استقراء المادة اللغوية ينتهي بإبراهيم بن هرمة أو بشار بن برد (نوزاد، 2007 ، ص 49).

يبدو أن هذين الرأيين يحكمان المنهج الوصفي على ضوء المنهج الذي سار عليه النحاة في البحث اللغوي، ولكن الممعن يدرك أن بين المنهجين فوارق من عدة جهات ومن ذلك فارق اللغة

المطبق عليه، فليست اللغات اللاتينية صورة مطابقة للغة العربية فهذه الأخيرة لها خصوصياتها التي تميزها عن اللغات الأخرى، إذ احتفظت لحين تأصيل الأحكام اللغوية بكثير من سماتها وخصائصها فعلى الرغم من الفاصل الزمني بين باحثي اللغة الأوائل وبين شعراء العصر الجاهلي فإنهم كانوا يتذوقون لغتهم، فالدارسون الأوائل أدركوا أن اللغة العربية لغة راسخة الأصول، ممثلة لغة مجتمع واحد ذي تقاليد وأعراف وقيم دينية وتراثية واحدة (نوزاد، 2007، ص 50 – 51).

2.2.3. وحدة المكان

أخذ المنهج الوصفي من وحدة المكان أساسا في البحث اللساني وشرطا في دراسة خصائص اللغة "ولا يعترف بتعدد الأماكن المجموع منها النصوص اللغوية، ويبررون اشتراط هذا الأساس، في أن الباحث اللغوي العربي يكون على بينة من إبراز الخصائص الموحدة للغة، ويؤخذ على البحث اللغوي العربي عدم التزامه بوحدة المكان في استقراء الأصول من المادة اللغوية المجموعة وترتب على ذلك عدم التمييز بين خصوصية كل لهجة من اللهجات العربية على حدة" (حسان، 2000، ص 83 – 85).

وهذا النقد الموجه للمنهج القديم في تحديد المكان يبدو أنه نقد نظري لم يقف على حيثيات هذا المنهج ولا على ظروفه، فالنحاة كان غرضهم من البحث حينها هو "خدمة لغة القرآن الكريم، التي بلغت أسى مراتب البيان وجمعت العرب على لغة واحدة، فلم يكن هناك حاجز في منهج البحث اللغوي عند العرب بين اللغة العربية ولهجاتها" (نوزاد، 2007، ص 52).

3.3. عدم التمييز بين اللغات

يذهب المنهج الوصفي إلى أن كل لغة ولهجة منطوقة قابلة لأن تبحث، فالوصفيون رسموا مبدأ يقررون به عدم المفاضلة بين اللغات واللهجات لأن مثل ذلك العمل ينطلق من حكم مسبق، وهذا مخالف للموضوعية.

وفي البحث اللغوي العربي يأخذ بعض الدارسين المحدثين على القدامى تحديد أنماط خاصة في التقعيد، وهي: القرآن والحديث، وما سموه لغة قريش، ولغة بعض القبائل التي نص عليها الفارابي في النص المشهور الذي نقله السيوطي في كتابه الاقتراح وهي: قيس وتميم وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. (السيوطي، ص 112).

ذكر النحاة في جانبٍ آخر عدة قبائل عربية لم يأخذوا عنها، وقد تعددت مبرراتهم، فبرر بعضهم عدم الأخذ منها لمجاورتها العجم، واستند آخرون إلى مبرر تمدنها وبعدها عن البادية، وبرر ابن خلدون ذلك ببعدها عن قريش (السيوطي، 113).

إن اعتماد المعيار الجغرافي الذي اعتمده النحاة أدى إلى تفضيلهم لغات على أخرى، وهو ما يفضي إلى أن تكون نتائجهم عامة تسم بعض اللغات بالفصاحة والحسن وأخرى بالشذوذ والضرورة وهذا المنهج لم يرق للوصفيين العرب فشجبهوه ونكروا عليه، فعلى سبيل المثال يتهم عبد الرحمن أيوب جامعي اللغة العربية بأنهم قد "ارتكبوا خطأ منهجيا حين كانوا يخرجون للبادية لجمع اللغة فيخلطون بين ما يأخذون من قبيلة وما يأخذون من قبيلة أخرى" (بكوش، 2004، ص 76).

وغالى أمين الخولي في نقده لمنهج العلماء في تصنيف اللغات، في قوله: "فإننا لنشعر من أخبار أصحاب اللغة في الخروج إلى البادية والاتصال بأهلها وأخذ اللغة عنهم أنه خروج غير جاد..." (الخولي، دت، ص 75).

لا جرم أن هذا الرأي قد ربط صحة المنهج التراثي بالمنهج الوصفي وفي هذا نظر، والأمر الآخر هو ربط الجدية وعدمها بالمنهج، وهذا يبدو مرفوضا نظرا، فضلا عن الواقع.

والواقع الذي نقلته كتب التاريخ عن النحاة يفند هذا الزعم، وها هو أحد الدارسين الوصفيين - حماسة عبد اللطيف - يرد على أمين الخولي اتهامه النحاة بعدم الجدية وإن كان يوافق في أن جمعهم كان مشوها مضطربا (عبد اللطيف، دت، 76).

فالظرف الذي كان فيه النحاة جعلهم يدركون خطر اللحن الذي بدأ يسري إذ لو أنهم ذهبوا يَسْتَفْرُونَ كل اللهجات العربية - دون ذلك التحديد - لعمَّ اللحن في الأرجاء ولا رتنت الألسنة.

4.3. فصل المستويات اللغوية في الدراسة

أخذ رواد المنهج الوصفي الأوروبيون على الدراسات اللغوية التقليدية عدم فصل المستويات بعضها عن بعض في الدراسة مما تسبب في عدم دقة النتائج، ولهذا فإنه يدعو الدارسين الوصفيين إلى تحديد المستوى المدروس وعدم الخلط بين المستويات اللغوية فينبغي فصل الدراسة الصوتية عن العروضية وعن التركيبية والدلالية والعكس فيما بينها صحيح، فدراسة البنية الصوتية للفصحي

المعاصرة أو إحدى لهجاتها تعد دراسة وصفية صوتية، وكذلك دراسة أوزان الأفعال تعد صرفية وصفية، والتركيبية كذلك (حسام الدين ، 2001 ، ص 67).

وهذا المأخذ نجد له حضورا في الدرس اللساني العربي عند الوصفين الذين أخذوا على النحوين خلطهم بين مستويات التحليل في الدراسة، ولكن كان منظور النحاة أن المستويات متكاملة، فالمستوى الصوتي مرتسم في المستوى الصرفي والتركيبى والدلالي، فأصل العلاقة بينها إذن هي التكامل لا الانفصال.

وينبغي التنويه إلى أن غرض النحوين وقصدهم الأساسي هو تعليم اللغة لوقاية الألسنة من اللحن ، وجعل المتكلم قادرا على فهم النصوص، وهذا المقصد جعلهم ينظرون للمستويات اللغوية على أنها مرتبطة مع بعضها بعض، إذ ليس هناك فائدة كبيرة ترجى في الغاية التعليمية من فصل المستويات، فالمتكلم لا تنفعه كثرة التعريفات في كل مستوى بل الذي ينفعه هو اللغة بمستوياتها المتناسقة .

هناك أمر آخر نلمسه في حكم الوصفين العرب هو النظرة التعميمية ، إذ إن النتاج العربي اللغوي عرّف في قرون متأخرة قليلا فصل المستويات، فقد ظهرت كتب أكثر ما تحوي في دراسة الأصوات اللغوية مثل كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني وظهرت كتب مفردة للدرس الصرفي مثل تصنيف أبي عثمان المازني ، واختلاط الصرف بالنحو في الكتب العربية يوافق رأيا يذهب إلى أن مستوى النحو يضم المورفولوجيا والنظم (الراجحي ، 2008 ، 52 – 53) .

وما قدمناه من ملاحظات حول رؤية الوصفين لهذه المسألة لا يعني أننا نرد آراءهم جملة وتفصيلا، بل إن الفصل بين المستويات غاية تفرضها منهجية البحث لكي يُعطى كل مستوى حقه من الاستيعاب في الدراسة .

5.3.الموضوعية

من أسس المنهج الوصفي الدعوة إلى الموضوعية، ويعرفونها بأن يكون "التفكير مرتبطا بسلوك الظواهر الخاضعة للملاحظة" (حسان ، 2000 ، ص 16).

تسعى الموضوعية عند الوصفين إلى تحقيق هدفين (نوزاد، 2007 ، ص 74) :

1- اتصال اللغة بالواقع لأن الباحث يدرس اللغة لغرض الدراسة نفسها.

2- الابتعاد عن إطلاق أحكام مسبقة لا تمت إلى واقع اللغة بصلة لأن وظيفة اللغة هي وصف الحقائق لا فرض القواعد.

يبدو أن هذين المبدئين مكملان لبعضهما ويصيان في واد واحد، يترجم ما يذهب إليه الوصفيون العرب من استبعاد المعيارية، إذ أخذ بعضهم على النحاة صدورهم عن المعيارية في دراسة الظواهر، فتمام حسان يدعو الباحث إلى "ارتضاء موقف وصفي في اللغة وأن يقيم نشاطه على الاستقراء والتقييد" (نوزاد، 2007، ص 44).

ويقول تمام في جانب آخر عن النحاة القدامى ودراستهم للغة "أنهم فكروا في اللغة تفكير من يُخضع الصواب والخطأ في استعمالها لا لمقياس اجتماعي بل لمجموعة من القواعد يفرضها عليها فرضاً" (حسان، 2000، ص 26).

والتمس باحثون آخرون مبررات للنحاة في أخذهم بالمعيارية ومنهم عبد الرحمن الحاج صالح الذي يرى أنها "عمل أساس حيث إن المتكلمين باللغة إذا ما سمعوا من أخطأ في النموذج العام الذي يتكلمون به فإنهم يسعون إلى تقويم ما وقع فيه، والواقع يؤكد ذلك فأية لغة في الدنيا لا ينطق فيها الناطق بأي شيء بدا له دون أن يخضع لما تعارف عليه أصحابها" (الحاج صالح، 2007، ص 27)، لأن الباحث لا يتجرد من صفته متكلماً قبل أن يصبح باحثاً.

إن أية لغة من اللغات بحاجة إلى معايير تخضع المتكلمين لقواعدها، ولعل اللغة العربية أحوج إلى تلك المعايير، نظراً لتلك الصلة التي ربطت نشأة النحو العربي بحماية القرآن الكريم من اللحن، وما كان في الإمكان التصدي لهذا الأمر إلا بوضع قواعد تعصم اللحنين من اللحن، وبناء عليه فإن المعيارية قد أسهمت في جعل النحو العربي يتسم في جانب من جوانبه بسمة النحو التعليمي (عبد الرحمن، 2000، ص 131) الذي يقوم بتثبيت معايير تكون لها القدرة على مواجهة ألوان التطور، وتيسير للأجيال اللجوء إليها في التعرف على المستوى اللغوي الذي استنبطت منه قواعد اللغة، وإن كانوا لا ينتمون إلى ذلك العصر (عمارة، 2006، ص 243).

يبدو أن اتهام الوصفيين النحاة بإشاعة المعيارية في منهج النحو العربي يحتاج إلى مناقشة وتحليل، وهذه أبرز نقاطها:

إن اللسانين الوصفيين الذين أبوا المعيارية وعدوها أمراً معيباً، قد نظروا إلى مفهوم المعيارية بنظرة تتصف بالتعميم؛ إذ جعلوها مرادفاً لتحكم القواعد، والخضوع إليها، ولكن على ما يبدو أن هناك معياريتين، ينبغي التفريق بينهما:

أ - معيارية ما قبل البحث: وهي تلك التي يحتكم فيها الباحث قبل الدراسة لتصنيفات وقواعد مسبقة، ويوزع فيها الأحكام بالصواب والخطأ بدءاً، وهذه لا يُجادل في رفضها لعدم قيامها على أسس موضوعية علمية.

ب - معيارية ما بعد البحث: وهذه المعيارية يُتوصّل من خلالها إلى وضع قواعد تحكم على الصيغ والتراكيب المختلفة بالصواب والخطأ، وتسعى إلى وضع قواعد يُقوّم بها أداء المتكلم إذا حاد عن قواعد تلك اللغة، وهذه المعيارية لا ينبغي ردها في الإجمال؛ لأنها لا تحتكم إلى قواعد ومعايير مسبقة، وإنما يتوصل إليها بعد القيام بعمليات وصفية معتمدة على مراحل دراسة المادة اللغوية التي تعرضنا إليها في الفصل الثاني والمتمثلة في الاستقراء والتقسيم والتجريد والتفعيد.

وإذا أمعنا النظر في الغرض من المعيارية في الدرس اللغوي العربي نجد أنها كانت ضرورة ملحة وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم، الذي هو دستور الإسلام الأعلى أو المستوى العزيز على العرب، ومن ثمّ كان ملزوماً سعي النحاة إلى تثبيت المقاييس اللغوية ما أمكن لتواجه ألوان التطور اللغوي وتيسر للأجيال أن تلجأ إلى هذه المعايير في التعرف على المستوى الأمثل وتعلمه وإذا كانوا لا ينتمون إلى ذلك العصر أو تلك البيئة.

تعد هذه المعايير التقويمية عملاً أساساً في الحفاظ على اللغة بدليل أن " المتكلمين باللغة إذا سمعوا من أخطأ في النموذج العام الذي يتكلمون به فإنهم يسعون إلى تقويم ما وقع فيه، والواقع يؤكد ذلك فآية لغة في الدنيا لا ينطق فيها الناطق بأي شيء بدا له دون أن يخضع لما تعارف عليه أصحابها" (الحاج صالح، 2007، ص 27).

وبناء عليه فإن الرؤية المعيارية لم تكن رغبة جامحة من النحاة إلى كبح جماح المتكلم وتقييده، وإنما وجد فيها النحاة سبيلاً إلى الحفاظ على اللغة، وتسهيلاً على المتعلم في الوقوف عند قواعدها وأحكامها فسلكوا سبيلها دون تجاوز مرحلة الوصف.

4. خاتمة

في ختام هذا البحث نخلص إلى :

إن المنهج الوصفي ومفاهيمه ، من المناهج التي أثارت جدلا ، وأسالت مدادا في الوسط اللساني الغربي ، باعتبار أن هذا المنهج فيصل بين ربح من الزمن مطبوع بنوع من الخصائص البحثية – التاريخية والمقارنة ...- ، جاء هذا المنهج ليبلغ بعضها ويهذب أخرى ،وقد امتد الجدل حياله إلى الدراسات العربية الحديثة أيضا.

كان موقف الدارسين العرب من هذا المنهج منقسما إلى ثلاثة مواقف: موقف مساند أخذ به في الدراسة عرضا ونقدا للفكر اللغوي العربي (تبعية مطلقة)، وموقف ثان رافض لهذا المنهج ناظر إليه على أنه جاء لهدم سلطان المناهج التي اتبعتها النحاة العرب السابقون ويقدم هؤلاء تلك المقولات الممجدة للسابق: "ما ترك الأول للأخر شيئا"، ومقولة: "ليس بالإمكان أبدع مما كان".

أما الموقف الثالث فموقف وسط بين الموقفين السالفين، فهو لا يدعن للمنهج الوصفي إذعانا كاملا بل يستفيد منه ولكن بعد تهذيب لبعض آرائه، كما لا يقرب براءة منهج النحاة من كل عيب بل يحاول وضع الأمور في سياقاتها ولبوسها الخاصة .

وتقتضي الموضوعية من الباحث أن يكون منصفاً في الحكم على أي مسألة أ وقضية، والمنهج الوصفي ينبغي أن يُستقصى فتُثَمَّن الإيجابيات المنهجية والمضمونية التي فيه، ويشار إلى ما فيه من هنات في مرجعيته وآرائه وتلقي اللسانيين العرب له، وما وقعوا فيه من أخطاء في نقدهم للتراث اللغوي العربي لتُستدرك تلك المخرجات كلها في بناء بحث لساني رصين .

5.المراجع

- أبو المكارم ، علي ، (2006)، النظرية اللغوية في التراث النحوي ط1، دارغريب، القاهرة .
- الحاج صالح عبد الرحمن ، (2007) ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، د ط ، موفم للنشر، الجزائر.
- حسام الدين ، زكي ، (2001)، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ط3 ، دار النهضة المصرية، مصر.
- حسان ، تمام ، الأصول (2000)، عالم الكتب، مصر .

- حسان ، تمام ، (2000) ، اللغة بين المعيارية والوصفية، ط 4 ، عالم الكتب، مصر .
- حسان ، تمام ، (2000) ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ط4 ، عالم الكتب .
- حماسة ، عبد اللطيف ، الضرورة الشعرية في النحو العربي، مكتبة دار العلوم، مصر.
- الخولي أمين ، (دت) ، مناهج تجديد في النحو والبلاغة، دط ، دار المعارف، مصر .
- دوسوسير، (1985)، علم اللغة العام، ترجمة بؤيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد .
- الراجحي، عبده ، (2008) ، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، د ط ، دار المعرفة الجامعية .
- الرازي ، أبوبكر، مختار الصحاح، عني ترتيبه، محمود خاطر، ط 1 ، دار الفكر، لبنان .
- سيبوية، (1983) ، الكتاب ، تحق عبد السلام هارون، ط3 ، مكتبة الجانجي، مصر.
- السيوطي ، جلال الدين ، الاقتراح في علم أصول النحو ، تحق حمدي خليل ، ط2 ، دون الدار .
- عبد التواب ، رمضان ، (1997)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3 ، مطبعة الخفاجي، القاهرة .
- عبد الرحمن ، ممدوح ، (2000) ، المنظومة النحوية دراسة تحليلية ، دط، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر .
- عمارة ، إسماعيل أحمد ، (2002)، المستشرقون والمناهج اللغوية ، ط3، دار وائل، الأردن .
- عمارة ، حليلة ، (2006)، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية، ط1 ، دار وائل، الأردن.
- نوزاد حسن أحمد ، (2007)، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ط1 ، دار دجلة ، العراق .
- ياقوت ، محمود ، (2003) ، منهج البحث اللغوي، د ط ، دار المعرفة الجامعية، د ط .